*التكرار في القرآن الكريم*

*بحث فى دراسات بلاغيه*

إعداد أ/ أحمد عبد الحميد مهدي

*قسم اللغة العربية*

*كلية اللغات – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم – ماليزيا*

*ahmed.mahdey@mediu.ws*

**خلاصة ـــ هذا البحث يبحث في قضية التكرار في القرآن الكريم**

**الكلمات المفتاحية : القرآن ،الحديث الشريف ، التكرار**

1. **المقدمة**

**الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، سوف نتحدث في هذا المقال عن قضية التكرار في القرآن الكريم**

1. **عنوان المقال**

**ولو انتقلنا من هذا الضرب من الكلام في الزيادة، إلى الضرب الثاني بما يشغب به الشاغبون؛ وهو ما حواه القرآن من تكرار، وظنَّ من لم يفهم سنن العرب الذين نزل القرآن بلغتهم أنه عيب؛ لوجدناه في قمة البلاغة، ذلك أن التكرار ظاهرة فاشية في الكلام البليغ، تراها في أشعار الجاهليين والمحدثين، وفي نثر أمراء البيان في شتى العصور، على نحو ما تراها في القرآن الكريم، والحديث الشريف، فله أسبابه، ودوافعه الكامنة في فطرة النفس تثيرها، وتحركها مواقف الحياة.**

**فالطفل حين يسمع لفظة جديدة يكررها، كأنه يُدرك أن التكرار هو الوسيلة لكي يحفظها، ويضيفها إلى ثروته اللغوية التي يحرص على تنميتها، وزيادتها، والمرَبون، والمعلمون، خاصة معلمي الصغار ومربيهم، يُدركون فطرة، ويلقنون علمًا، أن التكرار من قوانين التعلم التي لا يُغني عنها غناؤها في اكتساب أنواع من المعرفة، وشعابٍ من العلم، لا ينجع في حفظها واستيعابها وامتلاكها إلا التكرار، والدعاة والوعاظ، يجدون أنفسهم بوعي أو دون وعي، مدفوعين دفعًا إلى اصطناع التكرار وسيلة للإفهام، ولتقرير ما يُراد له أن يثبت في العقول، ويرسخ في الضمائر من حقيقة معتقد، أو حكم شريعة، أو مثل يُحتذى، أو قيمة تُوجه السلوك، والقادة، والزعماء، وكل من يريدون أن يؤثروا في الجمهور، ويشكلوا رأيه واتجاهه العام، يصطنعون التكرار، بل ويحتالون له؛ لأنه يسعفهم في مجال الدعاية لأنفسهم، ولسياساتهم، ولمذاهبهم، وتوجهاتهم، ومتابعة عابرة لنشرات الأخبار في إذاعات العالم، تُرينا مدى تكرار نبأ بعينه؛ لأنه يحمل مضمونًا يُراد له أن يذيع وينتشر على أوسع نطاق ممكن، فتكون إعادته في كل النشرات طوال اليوم، وربما لبضعة أيام، هي الوسيلة التي تُحقق ما يُراد له من ذيوع وانتشار.**

**وما يجري في مجال الدعاية والإعلان على كل المستويات، أظهر وأدل على قيمة التكرار وأثره من كل ما يقال في هذا المقام، والمتكلم حين يستشعر أن مراده لم يستبن لمخاطبه كما يريد هو، أو حين يعتقد أن المخاطب كان غافلًا وقت التلقي، أو واقعًا تحت تأثير العوامل المعينة، تجعله غير مهتم بما يلقى إليه، أو تجعله يتظاهر بأنه لا يبالي بما يسمع، أو يتجاهل قصد المتكلم، والمتكلم حين يستشعر شيئًا من هذا، لا يجد أمامه إلا التكرار يبين به عن حقيقة مقصوده، ويقرره تقريرًا لا يترك للمخاطب تعلة أو تحلة يتحلل بها من تبعات ما ألقي عليه، أو يتعلل إليه حتى تكون استجابته غير مكافئة لما عليه موقف المتكلم من عناية واهتمام.**

**واستقراء مقامات التكرار في الأنماط العالية من الكلام البليغ، يظهر بينها عنصرًا مشتركًا يتمثل في أنها مقامات تلامس الشئون الكبرى في حياة الناس، شئون العقائد والمذاهب بيانًا، ودعوة، وحوارًا، وحجاجًا، وجدلًا، وشئون الحروب والصراع دفعًا، وثأرًا، وانتقامًا، وتغنيًا بالقوة والشجاعة، وتفاخرًا بالبطولات، وتسجيلات للانتصارات، وشئون التشريع والتعليم، والتلقين، والإعلام، والتوجيه، وحتى مقامات المديح، والهجاء، والعتاب، والغزل، لا تستغني عن التكرار، فهو الذي يبرز مكنون نفس المحب للغزل، وما يعتمر فيها من تشوق، واستعذاب، كما يقول ابن رشيق، في كتابه: (العمدة): "وهو الذي يستلُّ ما في النفوس الغاضبة، ويهيء للعتاب طريقًا لغسلها، وتطهيرها بما كان عالقًا بها، والتكرار كذلك هو الذي يُشهر المهجو، ويُمكن ما يراد من توضيعه عند الناس، وهو الذي يُنبه به الخامل، ويُذكر به المغمور من الممدوحين، أما مقام الرثاء فليس أولى من التكرار ولا أحق بالتكرار منه، وأولى ما تكرر فيه الكلام: باب الرثاء؛ لمكان الفجيعة وشدة القرحة التي يجدها المتفجع".**

**وما شعر الخنساء عنا ببعيد، ومثل ذلك، مقام الوعيد والتهديد، ومقام الامتنان والتذكير، فالتكرار: فنٌّ قولي ينبع من الفطرة، وتدفع إليه مواقف الحياة، وتقتضيه مقامات لا يلبيها مثله، وتستدعيه أغراض لا يؤديها سواه، فهل يكفي هذا لرد اعتبار التكرار، ودرء ما لحقه من حيفٍ وجور في مؤلفات، وعلى ألسنة من لم يدر قيمة هذا الضرب من الكلام، ولم يعرف قدر هذا السنن الذي جاء وفق ما نطق به العرب.**

**والتكرار، ليس كما يُظن به ظن السوء، بل هو فن بلاغي أصيل عريق متمكن، ووسيلة بيانية لا ينجع في موضعها غيرها، وسواء وافقنا البلاغيين على أنه إطناب أو خالفناهم، فقيمة التكرار الفنية تجعله في منعة من أن يعاب، وفي عزة من أن يُنال منه.**

**وهذه وضعية التكرار، كما تتراءى للمحققين من أهل البلاغة والعلم، وتراها في كتاب الله تعالى، وفي سنة رسوله  وفي أشعار الفحول من الجاهليين والإسلاميين، وفي نثر أمراء البيان ونخاله، وكذلك في كل ألسنة البشر؛ لأنه يرتكز على قاعدة نفسية مشتركة، وينبع من منابع نفسية مشتركة كذلك.**

**وقد نظَّر ابن قتيبة للتكرار في القرآن الكريم، بالتكرار عند العرب، وأبان أنه جاء على سننهم، وعلى مذاهبهم في فن القول، يقول في كتابه: (تأويل مشكل القرآن): "وأما تكرار الكلام من جنس واحد، وبعضه يُجزئ عن بعض، كتكراره في قوله تعالى: {ﭑ ﭒ ﭓ} [الكافرون: 1]، فقد أعلمتك أن القرآن نزل بلسان القوم، وعلى مذاهبهم، ومن مذاهبهم التكرار؛ لإرادة التأكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار؛ لإرادة التخفف والإيجاز، وابن الأثير يخصُّ بالتكرار، ما أهم واشتدَّت به العناية، فيقول في: (المثل السائر): "إن التكرير إنما يأتي لما أهم من الأمر، بصرف العناية إليه؛ ليثبت ويتقرر، وهو يصرح بأن التكرار في موضعه، أبلغ من الإيجاز في موقعه، وكثيرًا ما يكرر مثل هذه العبارة، وهذا من التكرار الذي هو أبلغ من الإيجاز، وأشد وقعًا من الاختصار".**

**وتأمل المقامات التي ذكرها ابن قتيبة، وابن الأثير -رحمهما الله- والتي لا ينجع فيها غير التكرار، فإنهما يريانا إلى أي مدى تبلغ أصالة هذا الفن البلاغي، وإلى أي حدٍّ تصعد قيمته الفنية، وكيف ينبغي أن يكاثر غيره بما له من فضائل، وعوائد، وبما له من أثر في المعنى، وتأثير في النفس.**

**وكما أن التكرار وسيلة بيانية أصيلة، هو كذلك طريق من طرق التعبير، تفرضه ضرورات التخاطب في الحياة المعتادة، التي يتقلَّب فيها الناس؛ حيث يتبادلون الأفكار، والمعاني، والأغراض التي لا يستقيم بدونها أمر الحياة، وتفرضه ضرورات التواصل العقلي، والنفسي، والشعوري، في الحياة العقلية، والأدبية، التي يفزع إليها الناس؛ تخففًا من هموم العيش، ووطأة ما يعانون من مكابدة ومشقة في سبيله، وابتغاءً لمتاع النفس والروح بثمار العقول الممتازة، ونفحات النفوس الصافية، وسكب الحس النافذ، وذوب العواطف الإنسانية في جيشانها المضطرب، وتقلبها العجيب؛ هكذا ذكره الدكتور إبراهيم الخولي، في كتابه: (التكرار بلاغة).**

**تلمس التكرار في حديث أبسط الناس حين يُحوجه الموقف؛ ليؤكد صدق دعواه، أو خبره، أو صدق شعوره وعاطفته، فيكرر القسم، والله، والله، والله، أو دعوة ضيفه إلى الطعام، كُل، كُل، كُل، أو تنبيه مخاطبه كي لا ينسى ما كلفه به، لا تنس، لا تنس.**

**فإذا نحن تركنا لغة الحياة العادية، وأجلنا النظر في نتاج الشعراء والأدباء، وفي بيان رسول الله  وهو قمة الفصاحة الإنسانية، ثم في كتاب الله تعالى ببيانه المعجز؛ تبين لنا ما لهذا الفن -فن التكرار- من مكانة في البيان، وما له من منزلة بين وسائله، وأنه من الشيوع والذيوع بالدرجة التي تجعله في مقدمة وسائل البيان في استخدام الأدباء والشعراء.**

**وإذا كان البلاغيون آثروا مصطلح التكرار، فالنحاة كذلك لهم مصطلحهم الذي وضعوه عنوانًا لنمط من الأساليب يدخل في إطار التكرار، وهو التوكيد اللفظي، واللغويون انتبهوا لهذه الظاهرة وتعمقوها بأكثر مما تعمقها النحاة والبلاغيون، ووضعوا لها مصطلحًا يُوائم نظرتهم لها، وفقههم فيها، ويكفي أن نشير هنا إلى ابن جني، ومصطلحه الدقيق الذي استخدمه في: (الخصائص)؛ وهو الاحتياط.**

**وشأن البحث البلاغي أن يبدأ من حيث انتهى النحو، وإنما نقف مع ابن جني؛ لنرى كيف كان فقهه لهذا المسلك اللغوي، وكيف كانت فلسلفته اللغوية، ورؤيته لهذا الأسلوب، في كتابه: (الخصائص)، كتب ابن جني، بابًا ترجمته: "باب في الاحتياط".**

**وقد استهلَّه هكذا: "اعلم أن العرب إذا أرادت المعنى مكنته، واحتاطت له"، هو الآن يصف مزاج أمة مزاجها العقلي واللغوي على السواء تمكين المعنى، والاحتياط له، عادة عقلية ولغوية عند العرب غاص عليها ابن جني، واستخرجها بالطبع من تأمل نتاجهم الأدبي، وفقه لسانهم العربي.**

**أما وسائل العرب لتحقيق هذه الغاية -تمكين المعنى والاحتياط له- فيبينها ابن جني، فيقول: "فمن ذلك التوكيد، وهو على ضربين: أحدهما تكرير الأول بلفظه، وهو نحو قولك قام زيد، قام زيد، وضربت زيدًا ضربت، وقد قامت الصلاة قد قامت الصلاة، والله أكبر الله أكبر، ويسوقون حشدًا من الشواهد الشعرية، تدخل كلها في نطاق التوكيد اللفظي بمعناه عند النحويين، ويخلص هو إلى القول: "وهذا الباب -باب التوكيد اللفظي- كثير جدًّا، وهو في الجمل والآحاد جميعًا".**

**والآن مع صاحب: (الإتقان في علوم القرآن) -رحمه الله تعالى- وتحت عنوان: النوع السادس والخمسون في الإيجاز والإطناب، عقد فصلين أحدهما للإيجاز، والآخر للإطناب، وقد قسم كلًّا إلى قسمين، ويعنينا هنا باب الإطناب، فهو مظنة التداخل مع التكرار، وقد قسم السيوطي الإطناب إلى إطناب بالبسط، وإطناب بالزيادة، فالأول تكثير الجمل، كقول الله تعالى: {ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ} [آل عمران: 190]، الآية الكريمة، فقد أطنب فيها أبلغ الإطناب؛ لكون الخطاب مع الثقلين، وفي كل عصر وحين، للعالم منهم والجاهل، والموافق منهم والمنافق.**

**والثاني يكون بأنواع: منها النوع الثالث: التأكيد الصناعي، وذكر تحته أربعة أقسام.**

**ثانيها: التأكيد اللفظي، وهو تكرار اللفظ الأول، إما بمرادفه نحو: {ﭠ ﭡ} [الأنعام: 125]، {ﯓ ﯔ} [فاطر: 27]، وجعل منه بعضهم: {ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ} [الأحقاف: 26]، على القول بأن كليهما للنفي، وإما بلفظه، ويكون في الاسم والفعل والحرف، فالاسم نحو: {ﯦ ﯧ} [الفجر: 21]، والفعل نحو: {ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ} [الطارق: 17]، واسم الفعل نحو: {ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ} [المؤمنون: 36]، والحرف نحو: {ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ} [هود: 108]، والجملة نحو: {ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ} [الشرح:5- 6].**

**ومن هذا النوع، تأكيد المضير المتصل بالمنفصل نحو: {ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ} [الأعراف: 19]، ومن تأكيد المنفصل بمثله: {ﭷ ﭸ ﭹ} [الأعراف: 45].**

**ثالثها: تأكيد الفعل بمصدره، وهو عوض عن تكرار الفعل مرتين، وفائدته: رفع توهم المجاز في الفعل بخلاف التوكيد السابق؛ فإنه لرفع توهم المجاز في المسند إليه، ومن أمثلة الأخير: {ﭾ ﭿ} [الأحزاب: 56].**

**رابعها: الحال المؤكدة نحو: {ﮫ ﮬ ﮭ} [مريم: 33]، وظاهر أن هذا مما استوفاه النحو، ولم يبقَ للبلاغة فيه مقال، إلا ما يتصل بالدواعي والمقامات والأحوال التي تتطلب التأكيد، أو الإطناب بالتأكيد حسب كلام السيوطي، كما نقلناه من كتابه: (الإتقان).**

**ما يعنينا هنا في التنبيه عليه، أن هذا مما يدخل في نطاق ما ذكره ابن جني، من مبدأ الاحتياط، وتمكين المعنى الذي استنبطه من تحليل كلام العرب، وفقه لسانهم، وسننهم فيه.**

**ثم يذكر السيوطي النوع الرابع من أنواع الإطناب بالزيادة، وهو التكرير فيقول: "وهو -أي: التكرير- أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة خلافًا لمن غلط، وهو استهلال طيب يدل على رؤية صحيحة لهذا السنن".**

**وواضح من إشارته هذه، أن هناك من يعدون التكرير عيبًا يُخل بالفصاحة، وقد جعل السيوطي هذا الرأي غلطًا لا يصح، فالتكرير إذًا من محاسن الفصاحة، وهو نوع من الإطناب بالزيادة تقتضيه دواعٍ وأغراض منها: التقرير، والتأكيد، والزيادة، والتنبيه على ما ينفي التهمة؛ ليكمل تلقي الكلام بالقبول، ومنها إذا طال الكلام وخشي تناسي الأول، أعيد ثانيًا؛ تطرية له وتجديدًا لعهده، إلى غير ذلك من الأغراض والدواعي التي ذكرها السيوطي ونص عليها.**

**التكرار إذًا بما ذكرناه، مقتضى حال، تستدعيه مقامات لا ينجع فيها غيره، وتستدعيه أغراض لا يحققها سواه، وتلك الإشارات إلى الآن أقرب للدعاوى المرسلة التي تحتاج إلى البرهنة، ولعل أجمع ما يساق هنا حول أغراض التكرار مدخلًا للحديث عنها، ما ذكره ابن جني -رحمه الله- في: (الخصائص)، بعنوان: "باب في الاحتياط"، وقد بدأ هذا الباب، بقوله: "اعلم أن العرب إذا أرادت المعنى مكنته واحتاطت له"، فهي كلمة جامعة عبَّر فيها فقيه العربية، عن مزاج عام لأصحاب هذه اللغة، وعن طابع عقلي نفسي يحكم منطقهم، ويوجه تعبيرهم، وهم إذا أرادوا المعنى وقصدوا إفهامه لمن يخاطبونه، مكَّنوه واحتاطوا له، وتمكين المعنى والاحتياط له، تلخيص جيد دقيق لأغراض التكرار، ووسيلة تمكين المعنى والاحتياط له، هي نحويًّا التوكيد، وبلاغيًّا التكرار، وإنما يخرج من مفهوم التكرار ما درج المفسرون على عدَّه من التكرار، من ترديد القصص القرآني؛ لغياب شرط التكرار، وهو اتحاد اللفظ، والمعنى، والغرض، والسياق، والمقام، وهذا ما لا يتوافر في القصص القرآني، المردد في المواضع المختلفة من القرآن الكريم.**

**وحين يستقر الفرق بين التكرار الذي حددناه، وبين ما يختلط به من إعادة للقصة في سياقات مختلفة، مع اختلافات وفروق في المضامين والعبارات، والمفردات، نقترح تسمية ما يجيء من القصص القرآني على هذا الوجه: تصريفًا، وهي تسمية ليست لنا، وإنما هي للرماني، يقول في رسالته: (النكت في إعجاز القرآن): "باب التصريف، والتصريف: تصريف المعنى في المعاني المختلفة، كتصريفه في الدلالات المختلفة، وهو عقدها به على جهة التعاقب، فتصريف المعنى في المعاني، كتصريف الأصل في الاشتقاق، أي: المصدر في المعاني المختلفة، وهو عقدها بها على جهه المعاقبة، كتصريف الملك في معاني الصفات؛ فصُرف في معنى: مالك، وملك، وذي الملكوت، والمليك، وفي معنى: التمليك، والتمالك، والإملاك، والتملك، والمملوك، وهذا ضرب من التصريف فيه بيان عجيب، يظهر فيه المعنى بما يكتنفه من المعاني التي تُظهره وتدل عليه".**

**المراجع والمصادر**

1. **القزويني ، زكريا بن محمد القزويني تحقيق: محمد السعدي فرهود ، (الإيضاح في علوم البلاغة) ، طبعة رقم1، سنة النشر: 2001 م**
2. **الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، (دلائل الاعجاز) ، ط5، مكتبة الخانجي، 2004م.**
3. **أبو موسى، د. محمد محمد أبو موسى، (دلالات التراكيب دراسة بلاغية) ، القاهرة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1987م**
4. **المراغي، أحمد مصطفى المراغي، (تاريخ علوم البلاغة و التعريف برجالها) ، القاهرة، مكتبة و مطبعة مصطفى البابي، ط1، 1950م**
5. **فيود ، د. بسيوني عبد الفتاح فيود ، (علم البيان: دراسة تحليلية لمسائل البيان) ، القاهرة، مؤسسة المختار ، دار المعالم الثقافية، الإحساء ، ط 2، 1998 م**
6. **الخوارزمي ، الشيخ يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الملقب بسراج الدين السكاكي، (مفتاح العلوم) ، لبنان، مكتبة المقهى، نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ، 1987م**
7. **الشاطئ، عائشة بنت الشاطئ، (التفسير البياني) ، مكتبة المجلس، الطبعة الأولى، 1962م**
8. **فيود، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، (علم البديع: دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع) ،القاهرة، مؤسسة المختار، 2004**
9. **الصعيدي، عبد المتعال الصعيدي، (البغية على الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة) ،مكتبة الآداب، 1999م**
10. **شاهين، كامل السيد شاهين، (اللباب في العروض و القافية) ،القاهرة، الهيئة العامة لشئون الأميرية، 1978م**
11. **القيرواني، ابن رشيق القيرواني، (العمدة في محاسن الشعر وآدابه) ،الناشر: دار الكتب العلمية، 2001م**
12. **أبو موسى، د. محمد محمد أبو موسى، (التصوير البياني) ،القاهرة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م**